جغرافية القسطنطينية وعمارتها من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين في العصر الوسيط

أ. بودانة وليد
جامعةالجزائر02

ملخص:
يتناول المقال دراسة لمدينة القسطنطينية في الجانبين الجغرافي والعمراني من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين، وذلك كنموذج نحاول من خلاله استكشاف رؤية المسلمين للآخر المسيحي بشكل خاص، والذي تعد القسطنطينية بمعالمها المتعددة من أبرز مظاهر حضارته. كما تعتبر كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين عن المدينة جسرا من جسور التواصل الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي في العصر الوسيط، ومساهمة ولو يسيرة في كتابة تاريخ هذه المدينة.
الكلمات المفتاحية:القسطنطينية، الرحالة، الجغرافيين، العرب، المسلمون، بيزنطة.

Résumé:
L'article porte sur les côtés géographiques et urbains de la ville de Constantinople selon les écrits des voyageurs et géographes arabes, et comme un modèle par lequel nous essayons de découvrir la vision des musulmans pour les chrétiens en particulier, dont la ville de Constantinople par ses multiples sites de civilisation est considérée comme l'une de ses importantes faces. Les écrits des voyageurs et géographes musulmans sont considérés comme un pont de communication culturelle entre l'Orient islamique et l'Occident européen au Moyen Âge, et une petite contribution dans l'écriture de l'histoire de cette ville.
Constantinople, voyageurs, géographes, Les arabes, les musulmans, Byzance.

مقدمة:
عرفت أوروبا سنة 330م حدثا هاما في تاريخها تمثل في تدشين مدينة القسطنطينية وإعلانها كواحدة من أهم مدن العالم في العصر الوسيط سياسيا وحضاريا، إذ لم تقتصر أهميتها على كونها عاصمة سياسية للبيزنطيين فحسب، إنما تميزت عن غيرها من المدن بموقعها الجغرافي الفريد، وكانت لها أهمية دينية خاصة بوصفها معقل الكنيسة الأرثوذكسية، وعُرفت أيضا بكونها مقصد التجار من كل مكان، وقد زادت أهمية هذه المدينة بعد سقوط روما في أيدي الجرمان لتصبح أهم مدينة في أوروبا على الإطلاق.
نظم المسلمون عددا من الحملات العسكرية في فترة مبكرة من تاريخ دولتهم لفتح القسطنطينية لكنها باءت بالفشل، غير أن اهتمامهم بها لم يتوقف إذ تناولها الكتاب في مؤلفاتهم كلما دعتهم الحاجة إلى ذلك، وزارها عدد من الرحالة المسلمين، وتكلم عنها الجغرافيون فلم يقتصروا على وصف جغرافيتها فقط إنما أسهبوا في الحديث عن معالمها العمرانية وما تتميز به المدينة من العجائب وغير ذلك مما يتعلق بالمدينة...
وفي إطار محاولاتي لاستقصاء بعض جوانب نظرة المسلمين للآخر خلال العصر الوسيط، رأيت أن أتطرق في هذا المقال إلى مدينة القسطنطينية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين مع الاقتصار على الجانبين الجغرافي والعمراني، وهما جانبان مهمان لابد من التركيز عليهما عند دراسة تاريخ أي مدينة، فجغرافية المدينة تُعد من أهم العوامل الأساسية التي تؤخذ بعين الاعتبار قبل تأسيسها، كما أنها هي التي

تمنحها الأهمية الاستراتيجية مقارنة بما يجاورها من مدن، أما العمران فهو من أهم المظاهر المعبرة عن درجة الرقي والازدهار الذي تبلغه المدينة.

انطلاقا من هذا الأساس جاء عنوان المقال "جغرافية القسطنطينية وعمارتها من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين في العصر الوسيط" آملا أن أكون قد قدمت فيه ولو نظرة موجزة عن رؤية المسلمين لبعض جوانب هذه المدينة العتيقة.

1/ الإمبراطور قسطنطين وتأسيسه القسطنطينية:

تكلم الجغرافيون المسلمون عن شخصية الإمبراطور قسطنطين الأول (306-337م) وتأسيسه لمدينة القسطنطينية، فذكر المسعودي (ت346/957م) أنه يدعى قسطنطين بن قسطنس،[1] ويعرف بأمه هيلاني،[2] دامت مدة حكمه إحدى وثلاثين سنة،[3] وقيل أنه حكم خمسا وعشرين سنة فقط،[4] وقيل اثنان وثلاثون سنة.[5] أشار الزهري (ت حوالي 550هـ/1155م) إلى أن قسطنطين كان أول ملوك الروم تنصراً،[6] غير أن بعض الجغرافيين -على غرار سائر المؤرخين-[7] اختلفوا في سنة اعتناقه النصرانية، فذكر البكري (ت487هـ/ 1094م) بأن تنصره كان بعد سنة من توليه الملك،[8] وقال المسعودي بأن ذلك كان بعد عشرين سنة من مُلكه.[9]

وعن سبب تنصره فإننا نقف أمام روايتين مختلفتين جاء في الأولى أنه تحول إلى دين النصرانية خلال إحدى حروبه؛ ففي فترة كانت كفة المعركة تميل لأعدائه رأى قسطنطين في منامه أنه يرفع الصليب فينتصر به ففعل ذلك وانتصر على عدوه.[10]

ومفاد الرواية الثانية أن الإمبراطور قسطنطين أصيب بمرض الجذام،[11] فداواه منه أسقف روما بالدعاء فقط، وإثر ذلك تحول إلى المسيحية وبنى القسطنطينية.[12] وذكر المسعودي أنه لم يكن مسموحا عند الوثنيين أن يتولى الملك من كان مصابا بهذا المرض، في حين كانت النصرانية تسمح بذلك، الأمر الذي جعل قسطنطين يفكر في اعتناق هذه الديانة.[13]

والواقع أنه "لم يختلف المؤرخون في شيء اختلافهم في مسيحية قسطنطين" كما عبر عن ذلك الدكتور عبد الحميد رأفت[14] ذلك أن خلافا كبيرا في الآراء وقع بين المؤرخين حول الدوافع التي أدت بقسطنطين إلى التحول للديانة المسيحية، أكان ذلك عن صدق عقيدة وإيمان بهذه الديانة؟ أم هو مجرد لعبة سياسية سعى من خلالها إلى تحقيق أهداف معينة؟.[15]

وأما عن بناء القسطنطينية فقد ذكر بعض الجغرافيين أن قسطنطين الأكبر انتقل إلى بيزنطية،[16] وبنى عليها سوراً مبالغا في تحصينها وإحكام بنائها، ولم تزل الروم تنتقل إليها حتى صارت قاعدة الملك.[17]

وبخصوص الأسباب التي دفعت به إلى بناء عاصمة جديدة يذكر إسحاق بن الحسين (عاش في القرن الرابع الهجري/10م) أن عدم قدرة قسطنطين على إظهار تنصره بمدينة روما دفعه لبناء مدينة جديدة.[18] ويشير المسعودي إلى أن أهمية موقع مستوطنة بيزنطة وحصانته كانا عاملا مهما في دفع قسطنطين إلى تأسيس عاصمة جديدة في هذا المكان.[19]

كما أشار عدد من الجغرافيين إلى عامل مهم آخر يتمثل في التهديد الذي تتعرض له أطراف الدولة -بالأخص الجهة الشرقية- من قبل الأمم المجاورة كالفرس مثلا،[20] وبالتالي فإن قسطنطين كان يهدف من خلال بناء مدينته الجديدة إلى الاقتراب من منطقة الصراع لدحر أعدائه، وأخطأت الأستاذة ليلى عبد الجواد حين فهمت من السبب الأخير الذي أورده الجغرافيون أن مدينة روما لم تعد آمنة كعاصمة، وبالتالي وجب على قسطنطين البحث عن عاصمة أكثر أمانا،[21] فالمصادر لم تشر إلى أن التهديد يمس العاصمة روما وإنما ذكرت بأن الأمم المجاورة كانت تتهدد أطراف الدولة.

ومعروف أنه تم الشروع في بناء المدينة سنة 324م، وأقيم حفل تدشينها في 11 ماي 330م، وقد أطلق عليها اسم روما الجديدة،[22] غير أنه لم يكن الوحيد للمدينة التي عرفت بعدة أسماء أخرى ذكر بعضها الجغرافيون المسلمون وهي:

1- القسطنطينية: إذا كان قسطنطين قد أطلق على مدينته تسمية روما الجديدة تيمنا بالعاصمة الأولى للإمبراطورية، فإن سكانها أبوا إلا أن يضيفوها إليه ويسمونها باسمه،[23] فكان أكثر أسمائها شيوعا هو القسطنطينية.

2- اصطنبول: من الأسماء التي نسبها الجغرافيون المسلمون للمدينة،[24] وذكر ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) أن اصطنبول قسم من أقسامها.[25]

ولعل السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ الآن يتمحور حول العلاقة بين هذا الاسم الذي ذكره الجغرافيون المسلمون وتسمية إسلام بول التي أطلقها العثمانيون على المدينة حين فتحها والتي تنطق الآن استنبول؟.

ويظهر لنا أن الأستاذ حسين مؤنس أخطأ حين ربط تسمية اصطنبول -أو اصطمبول كما أوردها مؤنس- التي وجدها عند ابن بطوطة بالتسمية التي أطلقها العثمانيون على المدينة -إسلام بول- حيث قال: "ويسترعي نظرنا أنه يقول (يقصد ابن بطوطة) إن نصف المدينة الذي فيه قصر السلطان يسمى اصطمبول، فكأن هذا الاسم كان معروفا قبل استيلاء المسلمين على هذا البلد، وقد كنا نحسب أن الأتراك العثمانيين هم الذين أطلقوا الاسم على ذلك البلد، فسموه إسلامبول: أي مدينة الإسلام، ثم حرف الاسم إلى إستامبول أو اصطمبول، ولكن ها هو ذا معروف مستعمل قبل استيلاء الأتراك على القسطنطينية بأكثر من مئة سنة."[26]

إن تشابه لفظ اصطنبول الذي أورده ابن بطوطة وقبله عدد من الجغرافيين مع الاسم الذي أطلقه العثمانيون على المدينة بعد فتحها سنة 1453م، لا يعني بتاتا تشابههما من ناحية المعنى ذلك أن المسعودي قدم شرحا وافيا لمعنى اللفظ الأول حين ذكر أن الروم تدعوها -أي القسطنطينية- بولن (معناها المدينة)، وإذا أرادوا تعظيمها والإشارة إلى أنها دار الملك ذكروها باسم "استن بولن Is-Tin-polin" وتعني في اليونانية "إلى المدينة".[27]

3- فروق: انفرد المسلمون بذكر اسم للقسطنطينية لم يعرف عند غيرهم، وهو "فروق" وكان أول من ذكر هذا الاسم الشاعر أبو تمام (ت 231هـ/845م) حين قال:

وَقْعَةٌ زَعْزَعَتْ مَدِيْنَةَ قُسْطَنْ طِينَ حِينَ اِرْتَخَتْ بِسُورِ فَرُوقِ

وذكر الحموي (ت629هـ/ 1231م) أنه قصد بفروق القسطنطينية، وسوق فروق هو موضع بها.[28]

2/ جغرافية القسطنطينية:

تمتاز مدينة القسطنطينية بموقع جغرافي واستراتيجي فريد، إذ يحيط بها الماء من كل جهاتها عدا جهتها الغربية المتصلة بالبر.[29] وإن لم تغب هذه المعلومة عن عدد من جغرافيي العرب، فإن آخرين منهم أخطأوا في تقدير الجهات التي تتصل القسطنطينية عبرها بالبحر فذكروا أنها تطل على الماء من جهتي الشرق والشمال،[30] وتتصل بالبر من جهتي الغرب والجنوب،[31] لكن عند ملاحظة خريطة المدينة نجد أنها تتصل في جهتها الجنوبية بالماء -بحر مرمرة- حيث يمتد سور قسطنطين من الشمال إلى أن يصل البحر جنوبا، كما أنه يوجد ميناءان صغيران جنوب المدينة.[32]

وذكر القلقشندي (ت821هـ/1418م) أن المدينة تتصل بالبر من جهتها الشمالية فقط، أما باقي الجهات ففي البحر.[33] ويبدوا أنه حصل له خلط بين مدينتي القسطنطينية وروما، فالوصف الذي ذكره ينطبق على روما لا على القسطنطينية.

ومن الجغرافيين -وحتى بعض المؤرخين المعاصرين- من يشبه المدينة في شكلها بالمثلث يتصل جانبان منها بالبحر أما الثالث ففي البر.[34] وبملاحظة شكل المدينة على الخريطة نجد أنه يؤدي دور مثلث غير متساوي الأضلاع بقمة مفلطحة.

وأما المسعودي فقد تنبه لتأثير المياه المحيطة بالقسطنطينية على جوها فذكر أن الرطوبة مرتفعة بها، وأن الرياح بها كثيرة الهبوب،[35] إذ لا تكاد تتوقف عنها الرياح الشمالية طوال فترتي الشتاء والربيع.[36]

أ- طول المدينة وأقسامها: تباينت آراء الجغرافيين المسلمين أثناء تحديدهم لقياسات مدينة القسطنطينية، فذكر ابن رسته (ت حوالي300هـ/913م) أنها مدينة عظيمة ثمانية عشر ميلا[37] في مثلها،[38] أما الإدريسي (ت560/1165م) فقال بأن طولها تسعة أميال،[39] وذكر جغرافيون آخرون مثل الحميري (ت900هـ/1494م) أن طول المدينة من الشرق إلى الغرب يبلغ ثمانية وعشرين ميلا.[40] أما الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي (ت569هـ/1173م) فذكر أن استدارة المدينة تبلغ ثمانية عشر ميلا.[41]

لكن هذه الأرقام لا تخلو من المبالغة، إذ يرى المؤرخ الانجليزي جيبون Gibbon أن طول المدينة لم يتجاوز في أقصى اتساع لها نحوا من ثلاثة أميال ومحيطها حوالي عشرة أميال.[42] وبالنسبة للجغرافيين الذين ذكروا أن طول المدينة ثمانية وعشرون ميلا، فإنهم في وصفهم خلطوا بين مدينتي روما والقسطنطينية، فطول مدينة روما من بابها الشرقي إلى بابها الغربي قدَّره بعض الجغرافيين الأوائل بثمانية وعشرين ميلا.[43] وحري بنا الإشارة إلى أن القسطنطينية -كغيرها من المدن- ظل حجمها يتطور باستمرار مع مرور الوقت.

وقسَّم ابن بطوطة المدينة إلى قسمين يفصل بينهما خليج صغير يعرف بالقرن الذهبي[44] ففي جنوب هذا الخليج[45] يقع القسم المعروف بإصطنبول وفيه يسكن الإمبراطور البيزنطي وكبار الشخصيات وكذا عامة الناس، أما القسم الثاني فيسمى بالغلطة (Galata) ويقع شمال القرن الذهبي وهو مخصص للتجار الأوروبيين الذين يأتون إلى المدينة.[46]

ب- خليج القسطنطينية:

انحصرت تقديرات معظم الجغرافيين المسلمين لطول الخليج من بحر مانطس (البحر الأسود) إلى بحر إيجة[47] فيما بين 250 و 360 ميل،[48] وإذا كانت تقديرات هؤلاء الجغرافيين أكبر بكثير من الطول الحقيقي لخليج القسطنطينية -حوالي 195 ميلا- فإن الجغرافي أبا الفداء (ت732هـ/1331م) قدَّره بأقل من ذلك، حيث ذكر أنه يبلغ سبعين ميلا.[49]

وينقسم خليج القسطنطينية إلى ثلاثة أقسام هي: البوسفور،[50] بحر مرمرة[51] والدردنيل،[52] حيث يتدفق مضيق البوسفور من البحر الأسود إلى أن يصل مدينة القسطنطينية ليتصل عندها ببحر مرمرة الذي يستمر جنوبا إلى أن يلتقي بمضيق الدردنيل والذي يتصل بدوره ببحر إيجة.

قدَّر أبو الفداء طول البوسفور بحوالي خمسين ميلا[53] وقدَّره جغرافيون آخرون بستين ميلا،[54] غير أن هذه التقديرات لم تكن صحيحة، واستدرك أبو الفداء خطأه في موضع آخر من كتابه فذكر أن ما بين القسطنطينية وفم الخليج عند البحر الأسود يساوي ستة عشر ميلا،[55] وهو ما يقارب الطول الحقيقي للمضيق والمقدَّر بحوالي 18.66 ميلا (30 كلم).[56]

أما القسمان الثاني والثالث فحدّد الجغرافيون أن طولهما يتراوح بين 250[57] و 260 ميلا،[58] وقدَّره ابن خرداذبه (ت300هـ/912م) ب100ميل،[59] غير أن هذه الأرقام لم تكن دقيقة إذ يُقدَّر طولهما الحقيقي بحوالي 177 ميلا (285 كلم).[60]

ج- عرض الخليج:

يختلف عرض الخليج من منطقة إلى أخرى فيضيق ويتسع، حيث قدَّر بعض الجغرافيين مدخل الخليج عند البحر الأسود -أي مدخل مضيق البوسفور- بستة أميال[61] وذكر آخرون أنه يبلغ عشرة أميال.[62] وتشير المراجع إلى أن أقصى عرض للبوسفور يبلغ حوالي ميلا ونصف (قرابة 3كلم).[63]

وهناك من الجغرافيين من أشار إلى وجود مدينة بمدخل الخليج تدعى "مسناة"[64] وسماها المسعودي في مروج الذهب بـ"سباه"،[65] وكانت هذه المدينة تتكفل بصد سفن الأمم المجاورة التي تحاول الهجوم على القسطنطينية عبر البحر الأسود.[66]

أما عرض الخليج عند العاصمة البيزنطية فقد تراوح عند الجغرافيين بين ثلاثة[67] وأربعة أميال،[68] ويقابل القسطنطينية في الجهة الآسيوية للخليج قلعة خراب سماها أبو الفداء بـ "الجرون".[69] والتي يُرجَح أنه يقصد بها مدينة خلقدونية (Chalcedon).

وحين يجاوز الخليج مدينة القسطنطينية يأخذ في الاتساع، حيث يبدأ بحر مرمرة الذي حدّد المسعودي عرضه في كتاب "مروج الذهب" بنحو خمسين ميلا،[70] وفي كتاب "التنبيه والإشراف" ذكر بأن أوسع عدوة يمكن من خلالها قطع خليج القسطنطينية تقدّر بأربعين ميلا،[71] ولعل الرأي الأخير هو الصواب إذ أن عرض بحر مرمرة -وهو القسم الأعرض في الخليج- في أقصى اتساعه يساوي خمسة وستين كلم (قرابة 40.5 ميل).[72]

كما قدَّر الجغرافيون المسلمون عرض الخليج عند مصبه في البحر الشامي بغلوة سهم[73] -أي بمقدار رمية سهم- وذكروا أنه يوجد هناك برج لمراقبة حركة السفن.[74]

د- ميناء القسطنطينية:

يخرج من البوسفور قبل اتصاله ببحر مرمرة خليج صغير يمتد غربا نحو سبعة أميال،[75] مشكلا ميناءً طبيعيا مميزا لمدينة القسطنطينية،[76] عُرف باسم القرن الذهبي حيث أنه يشبه في شكله قرن غزال، أما لفظ الذهبي فهو تعبير عن الثروات المتدفقة نحوه،[77] ففيه تسهل عملية الشحن والتفريغ حيث يندر حدوث المد والجزر.[78] ولا يزيد مدخل الميناء عن 500 ياردة (حوالي 0.45 كلم)[79] ما يسهل حمايته، إذ أشار بعض الجغرافيين مثل ابن خرداذبه أن بالخليج سلسلة تمنع السفن من الدخول إلا بإذن،[80] لكنهم حددوا موقع هذه السلسلة عند مدينة أبيدوس[81] Abydos الواقعة قرب مصب خليج القسطنطينية، والأصح أن السلسلة تقع عند مدخل الميناء.[82]

ويذكر النويري أن الحيلة الشهيرة التي استخدمها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/ 661-680م) لخطف أحد بطارقة القسطنطينية كانت سببا في وضع هذه السلسلة.[83]

هـ- بعض المسالك المؤدية للمدينة:

لم يفت الجغرافيين المسلمين التطرق للمسالك المؤدية لمدينة القسطنطينية، فاهتمامهم بوصف هذه المسالك يعود إلى وجود دار للمسلمين بالمدينة،[84] كما أن المسلمين يقصدون المدينة لشراء الأسرى وتبادل المراسلات الدبلوماسية وأيضا للغزو.[85]

ذكر ابن رسته على لسان هارون بن يحي -الذي أسره الروم واقتادوه للقسطنطينية- طريقا يمتد من مدينة عسقلان إلى القسطنطينية،[86] فمن عسقلان أبحروا ثلاثة أيام إلى أنطاليا، ثم ساروا إلى نيقية في ثلاثة أيام أخرى (إذا وضعنا خطا مستقيما بين مدينتي أنطاليا ونيقية فإن المسافة تقدر بأكثر من 400كلم)، ومنها يومان إلى مدينة تدعى سنقرة،[87] ومنها خرجوا مشيا فساروا مقدار يومين إلى أن وصلوا لبحر مرمرة وأبحروا يوما إلى القسطنطينية.[88] (حاليا تقدر المسافة بين نيقية واسطنبول بحوالي 140 كلم) وبهذا قُدرت المسافة من عسقلان إلى القسطنطينية بأحد عشر يوما.[89]

وذكر الإدريسي مسلكا يمتد من القسطنطينية إلى مدينة أطرابزندة[90] الواقعة في الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود.[91]

أما ابن حوقل (ت367هـ/977م) فأشار إلى أن المسافة بين مدينتي كمخ والقسطنطينية تقدر بأربعين مرحلة،[92] فمن كمخ إلى ملطية عشر مراحل ومنها إلى أنقرة عشرون مرحلة، ثم إلى القسطنطينية عشر مراحل أخرى.[93]

وقدَّر المسعودي المسافة بين القسطنطينية وروما بحوالي أربعين[94] أما الحموي فذكر أنها خمسين يوما،[95] وبالغ ابن الفقيه (عاش في القرن الرابع الهجري/ 10م) في تقديره فذكر أن بين المدينتين مسيرة سنة،[96] أما ابن رسته فوصف المسلك الرابط بينهما.[97]

3- عمارة القسطنطينية:

عرفت القسطنطينية في العصر الوسيط ازدهار الفن العمراني بها وهو ما تجسد في جمال ورونق بناياتها، وقد وصف عدد من الرحالة والجغرافيين المسلمين بعض المعالم العمرانية التي تعبر عن الابداع البيزنطي في هذا المجال...

أ- كنيسة آيا صوفيا:[98] ذكر ابن بطوطة أن الكنيسة تقع وسط القسم الأول بالمدينة والمعروف بإصطنبول،[99] لكن وقع له خلط ما عند حديثه عن باني الكنيسة، حيث ذكر أنها من بناء ابن خالة النبي سليمان -عليه السلام-،[100] واسمه آصف بن برخياء.[101] ويبدوا أن ابن بطوطة قد ذهب ضحية لسوء فهم المترجمين، كما أنه لم يلحظ الفارق الزمني الكبير بين فترة النبي سليمان عليه السلام (القرن العاشر ق.م) وبين بناء المدينة، أو على الأقل ظهور الديانة المسيحية.

وكنيسة آيا صوفيا مستطيلة الشكل[102] يحيط بها سور فيه ثلاثة عشر باب،[103] وفي أحد الأبواب الغربية أقيمت مجموعة من البوابات الصغيرة على عدد ساعات الليل والنهار، فكلما مرت ساعة يُغلق باب ويفتح الذي يليه.[104]

ومن المؤسف أننا لا نجد من الجغرافيين والرحالة المسلمين من يصف لنا الكنيسة من الداخل،[105] وعبر ابن بطوطة عن السبب الذي حال دون دخوله الكنيسة ووصفها من الداخل حيث ذكر أن خدامها يجلسون عند بابها الرئيسي ولا يسمحون لأحد بدخولها حتى يسجد للصليب الأعظم،[106] الذي جعلوه في جعبة من ذهب وعرَّضوا عليها بأخرى مثلها لتصير صليبا وعلقوه في الباب.[107] أما حرم الكنيسة فلا يمنع أحد من دخوله، وقد ذكر ابن بطوطة أنه مفروش بالرخام وبه بعض أشجار العنب والياسمين.[108]

وحصل للحميري خلط حين قال بأن الإمبراطور قسطنطين العظيم وضع أعلى كنيسة آيا صوفيا آلة مطلسمة وهي عبارة عن زرزور نحاسي، فإذا جاء وقت الزيتون حشرت إليها زرازير المدينة حيث يأتيها كل واحد منها بثلاث زيتونات، اثنتان في مخالبه والثالثة في منقاره،[109] لكن الجغرافيين المتقدمين نسبوا هذه الآلة إلى كنيسة القديس بطرس بروما وليس لكنيسة آيا صوفيا.[110]

وفي نهاية الحديث عن عمارة الكنيسة نتأسف لعدم تمكننا من الوصول لكتاب "الأثار والعجائب والأصنام" للرحالة الهروي،[111] حيث أن مؤلفه ذكر أنه أورد فيه تفاصيل هامة عن كنيسة آيا صوفيا بوصفه لهيكلها وارتفاعها وأبوابها وطولها وعرضها وأعمدتها...[112]

ب- القصر الإمبراطوري:

يقع القصر الإمبراطوري في المنطقة الجنوبية الشرقية للمدينة، على مقربة من الميدان وبحر مرمرة،[113] بناه الإمبراطور قسطنطين العظيم، وقام جستنيان بإدخال تعديلات عليه.[114] يحيط به سور مرتفع دورته فرسخ (حوالي 5كلم)،[115] وذكر بعض الجغرافيين أن له ثلاثة أبواب مهمة،[116] أولها باب البيدرون،[117] أما الثاني فسماه ابن رسته (ت حوالي 300هـ/913م) باب البحر لإطلاله على بحر مرمرة، والثالث باب المنكنا!.[118]

وعلى يمنة الداخل إلى القصر الإمبراطوري يوجد بيت المال،[119] أما على يسراه فتوجد كنيسة الملك وبها عشرة أبواب، والموضع الذي يقف فيه الإمبراطور للصلاة يقدّر بأربعة أذرع في مثلها (أي حوالي مترين في مثلهما) وهو مزين بالدر والياقوت.[120]

بجانب هذه الكنيسة توجد مجموعة من التماثيل لإنسان وعدد من الحيوانات وقربها صهريج متصل بكل تمثال منها، فإذا كانت هناك مناسبة ما مُلئ ذلك الصهريج شرابا فينفذ إلى تلك التماثيل ويخرج من أفواهها.[121]

ج- الهبدروم:

يقع الميدان اليوم بالساحة المعروفة ب "آت ميدان"[122] Atmeidan وهو عبارة عن ساحة فسيحة يبلغ طولها مقدار رمية سهم ونصف رمية، أما عرضها فمقدار رمية واحدة،[123] وتحف جنباته تماثيل لرجال ونساء وأنواع عديدة من الحيوانات.[124]

وأشار المقدسي (ت390هـ/ 1000م) أنه توجد بوسط الميدان دكة،[125] رجحت الأستاذة ليلى عبد الجواد أنه يقصد بها ما عرف باسم الحاجز (أو سبينا Spina)[126] ويتشكل هذا الحاجز من ثلاثة نصب أثرية أولها مسلة تم إحضارها من مصر تزينها النقوش الهيروغليفية، أما النصب الثاني فكان عبارة عن ثعبان ذو ثلاثة رؤوس مصنوع من النحاس، والثالث عمود برونزي مربع الشكل مصنوع بطريقة خارجة عن المألوف في تلك الفترة.[127]

د- أسوار المدينة وأبوابها:

تكلم الجغرافيون والرحالة عن تحصينات المدينة واستحكاماتها فذكروا أنها محصنة بسور واحد لا غير،[128] إذ تركز معظم كلامهم عن سور ثيودوسيوس، ولم يتطرقوا لسور قسطنطين سوى بالإشارة،[129] ولعل السبب في ذلك يكمن في أن الجغرافيين والرحالة المسلمين عاصروا مدينة القسطنطينية وقد توسع عمرانها إلى ما وراء سور قسطنطين وبالتالي لم تعد لهذا السور تلك الأهمية التي تدعوهم إلى وصفه وتفصيل الكلام عنه.

أما السور الذي وصفه هؤلاء فقد بني في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (408-450م)، وهو يمتد من القرن الذهبي شمالا إلى بحر مرمرة جنوبا ويبعد عن سور قسطنطين بحوالي ميلين غربا، وفي سنة 439م تم إنشاء أسوار بحرية تتصل بهذا السور، لكن زلزالا ضرب المدينة أحدث تصدعات بالسور فأعيد ترميمه سنة 447م.[130]

ويبلغ ارتفاع السور حسب تقدير الجغرافيين إحدى وعشرين ذراعا (حوالي 11.5متر)،[131] وهو تقريبا نفس الارتفاع الحقيقي للسور والذي يبلغ اثني عشر مترا.[132]

ويحيط بهذا السور سور آخر خارجي يمتد ليحيط بالمدينة في جهاتها البحرية، وقد اختلفت الجغرافيون في تقدير ارتفاعه، حيث ذكر بعضهم أن ارتفاعه من ناحية البر يقدّر بعشرة أذرع (خمسة أمتار) ومن ناحية البحر يقدّر بخمسة أذرع (مترين ونصف)،[133] أما الإدريسي فذكر أن ارتفاعه يبلغ عشرة أذرع سواء من ناحية البر أو البحر،[134] في حين ذكر الحموي أن ارتفاعه في جهة البحر يبلغ خمسة أذرع،[135] ومن جهته قدَّر صفي الدين البغدادي (ت739هـ/1338م) ارتفاع الجهة البحرية لهذا السور بخمسة عشر ذراعا (سبعة أمتار ونصف).[136]

ويتراوح الطول الحقيقي لهذا السور بين ستة أقدام (1.82متر) وعشرة أقدام (3.04متر) وذلك بحسب ارتفاع الأرض.[137]

وذكر الحميري أنه يفصل بين سور ثيودوسيوس والسور الصغير نهر يسمى بنهر قسطنطيانوس[138] وقد نقل معلومته هذه من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي، لكن هذا الأخير وعددا من الجغرافيين المسلمين نسبوا هذا الوصف لمدينة روما وليس للقسطنطينية.[139]

أما الجغرافي الزهري فقد بالغ في وصفه لأسوار القسطنطينية حيث قال بأن لها سبعة أسوار تدور ببعضها على شكل حلزوني يجعل من يسير بينها يتحير في مدخلها من مخرجها،[140] في حين رسم القزويني (682هـ/1283م) صورة لهذا الوصف.[141] والواقع أن هذا الشكل يمثل المتاهة المعقدة التي تعد إحدى رموز الوثنية بأوروبا، ولا صلة لها بخطط القسطنطينية أو أسوارها.

وبالنسبة لأبواب المدينة فهي كثيرة سواء في الواجهة البحرية أو البرية للمدينة، منها أبواب مخصصة للأغراض الحربية وأخرى مدنية،[142] وأشهر باب عرفت به القسطنطينية هو باب الذهب الذي شيّده الإمبراطور ثيودوسيوس وذلك بعد انتصاره على أحد أعدائه -مكسيموس Maximus- ونجاحه في إجهاض ثورته، وذلك سنة 388م، ويقع هذا الباب في جنوب سور ثيودوسيوس،[143] وأخطأ الحميري حين ذكر أنه يقع شمال المدينة.[144]

وهذا الباب مصنوع من الحديد ومموه بالذهب،[145] ذكر ابن رسته أن عليه صورة لخمسة فيلة يمسك زمامها رجل.[146]

هـ- منائر القسطنطينية:

ذكر الهروي (ت611هـ/1215م) ثلاث منائر بالمدينة، حيث توجد الأولى بميدان السباق،[147] وهي موثقة بالرصاص والحديد، إذا هبت الريح تميلها شرقا وغربا،[148] وبالميدان أيضا توجد المنارة الثانية وهي مصنوعة من النحاس كلها قطعة واحدة وليس لها باب.[149]

أما المنارة الثالثة فهي مصنوعة من الرخام الأبيض مزينة بصور عجيبة، إذا صعد الإنسان لقمتها يقع نظره على كامل المدينة.[150]

و - قبر قسطنطين:

أشار إليه الجغرافيون فذكروا أنه يقع بقرب الكنيسة العظمى عمود طويل على رأسه مائدة مربعة الشكل، مصنوعة من الرخام يوجد فيها قبر قسطنطين، وفوق القبر تمثال لفرس يركبه شخص يحمل بإحدى يديه كرة، في حين يمد يده الثانية.[151]

هذا وقد تأثرت عمارة القسطنطينية بالهجمات العسكرية التي كانت تتعرض لها كالحملة الصليبية الرابعة (1201-1204م) التي انحرفت عن مسارها لتتجه نحو القسطنطينية، وقد أشار العمري (749هـ/1349م) إلى هذه الحملة،[152] أما أبو الفداء فقد زار المدينة وذكر أن بها خرابا كثيراً نتج عما تعرضت له المدينة من نهب وأن أكثر عمارتها تركزت في الجزء الشرقي الشمالي.[153]

خاتمة:

في الختام يمكن أن نوجز أهم ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط الآتية:

لم يُبد الجغرافيون الأوائل أمثال البلخي والإصطخري اهتماما بوصف مدينة القسطنطينية أو الحديث عنها، إذ ركزوا فقط على الأقاليم التي تدخل ضمن الدولة الإسلامية، إلا أن الرحالة والجغرافيين الذي جاؤوا بعدهم قدموا لنا معلومات مهمة عن مدينة القسطنطينية، وقد تضمنت معلومات هؤلاء الرحالة والجغرافيين بعض الأخطاء خاصة فيما تعلق بقياسات المدينة وخليجها، كما حصل لبعض الجغرافيين المتأخرين خلط في النقل عمن سبقهم، فلم يميزوا في بعض النقاط بين روما والقسطنطينية.

شُيدت مدينة القسطنطينية في موقع بالغ الأهمية من الناحية الاستراتيجية، وقد تنبه الجغرافيون المسلمون لذلك فأسهبوا في وصف جغرافيتها. كما أنها بلغت تطورا عمرانيا هائلا باعتبارها عاصمة للبيزنطيين، وأتقن أهلها فن التصوير والنحت بشكل يثير الإعجاب، حيث كانت المدينة بشوارعها ومبانيها عبارة عن متحف كبير يثير دهشة الزائر. غير أنها كانت عرضة للهجمات العسكرية التي تتسب عادة في تخريب البنيان وتهديم العمران، وهو ما أشار إليه أبو الفداء حين زار المدينة بعد الحملة الصليبية الرابعة.

وبالرغم من استحكام الصدام العسكري والعداء الديني خلال العصر الوسيط بين المسلمين والنصارى، إلا أن نظرة الرحالة والجغرافيين المسلمين لمدينة القسطنطينية لم تكن نظرة متعصبة، بل على العكس من ذلك تماما نجدهم يبدون إعجابا كبيرا بالمدينة ومعالمها، ولعل السبب في ذلك هو عدم تطرقهم للمواضيع المتعلقة بالعلاقات العسكرية بين المسلمين والبيزنطيين.

الملاحق:

صورة رقم 01:

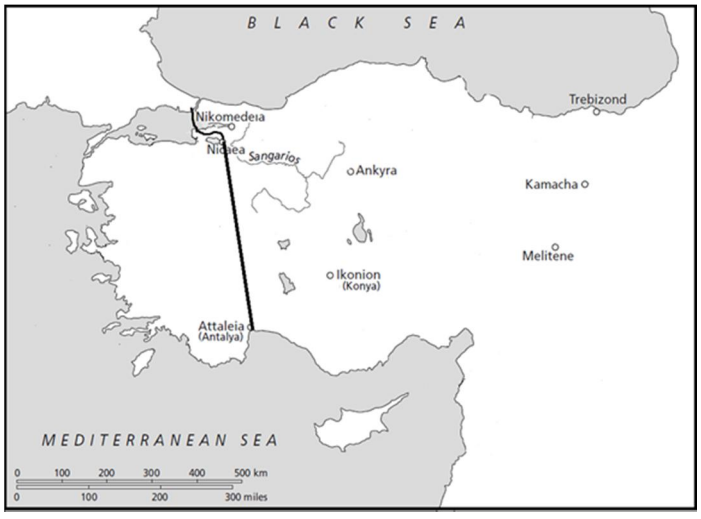

المسلك الرابط بين أنطاليا والقسطنطينية كما وصفه الرحالة هارون بن يحي منقول بتصرف عن:

Jonathan Shepard: The Cambridge History of the Byzantine Empire, Cambridge University Press, United States of America, 2008, p700.

صورة رقم 02:

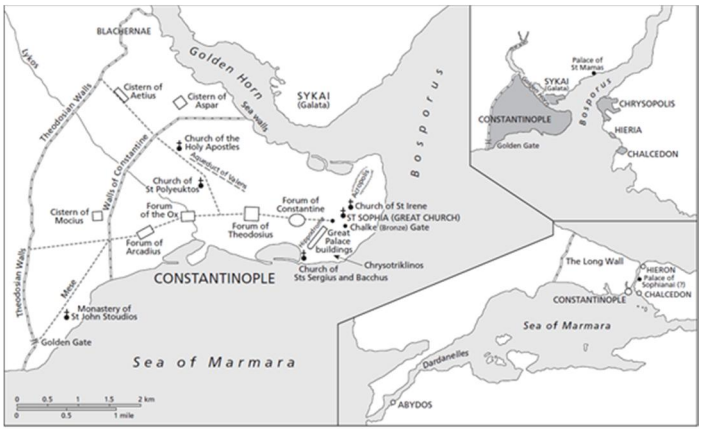

خريطة مدينة القسطنطينية في بدايات العصر البيزنطي

.113Jonathan Shepard: Op. cit, p

صورة رقم 03:

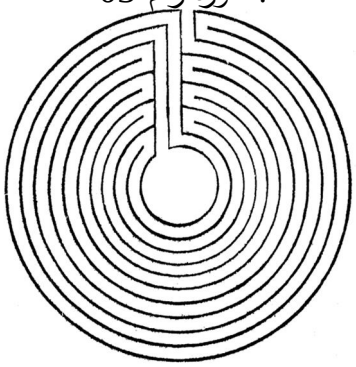

مدينة القسطنطينية كما رسمها – خطأً - الجغرافي القزويني

القزويني زكريا: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت، ص604.

الهوامش:

[1] المسعودي أبو الحسن علي: التنبيه والإشراف، تح إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د ت، ص118. وسماه الزهري "قسطنطين بن ميلا". الزهري أبو عبد الله محمد: كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت، ص73. أما القزويني فسماه "قسطنطين بن ساويرس". القزويني: المصدر نفسه، ص603. في حين سماه القلقشندي "قسطنطين بن قسطنش" القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، مصر، 1915، ص392. وتذكر المراجع اسم أبيه ب "قسطنطيوس" Constantuis. أنظر جيبون إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج1، تر محمد علي أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص224.

Hans Pohlsander: The Emperor Constantine, Second Edition, Routledge press, London, 2004, p8.

[2] ولدت القديسة هيلانة حوالي سنة 250م، بآسيا الصغرى وتزوجها قسطنطيوس فأنجبت له قسطنطين سنة 274م، لكنه طلقها سنة 292م لأسباب سياسية، توفيت سنة 330م ويحتفل بعيد ميلادها في الثامن عشر أوت من كل عام. أنظر إسحاق عبيد:

قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع، المجلة التاريخية المصرية، مج 17، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مصر، 1970، ص ص5-6.

[3] المسعودي: المصدر نفسه، ص118؛ المسعودي أبو الحسن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تح كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص240. وعن مدة حكم قسطنطين وباقي أباطرة الدولة البيزنطية أنظر السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، مصر، 1982، ص894 فما بعدها بعدة صفحات.

[4] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص240؛ البكري أبو عبيد: المسالك والممالك، ج1، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص ص236-237.

[5] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص119.

[6] الزهري: المصدر نفسه، ص73.

[7] حصل خلاف بين المؤرخين حول تنصر قسطنطين وتوقيته، وتذكر إحدى الروايات أنه تم تعميده سنة 312م، غير أن هناك من يرفضها ويأخذ بالرواية التي تذكر أنه تم تعميده قبيل وفاته. أنظر

.Hans Pohlsander: Op. Cit, p22 sqq

[8] البكري: المصدر نفسه، ج1، ص236.

[9] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص124.

[10] البكري: المصدر نفسه، ج1، ص236؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص240. الدمشقي شمس الدين: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998، ص341. قارن ب رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج2، ط3، دار قباء للطباعة، مصر، 1999، ص ص101-102.

Eusebius Pamphilus: The Life of the Blessed Emperor Constantine, in The Greek Ecclesiastical .History, Book 1, London, 1845, p26 sqq

[11] يسمى أيضا مرض هانسن، وهو مرض مزمن ومعد، يؤثر بالأساس على الجلد، ورغم أنه لا يعد من الأمراض القاتلة إلا أن إهمال علاجه يؤدي إلى تشوهات قد تشل اليدين والقدمين. أنظر الموسوعة العربية العالمية، ج8، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة، السعودية، 1999، ص237.

[12] البكري: المصدر نفسه، ج1، ص236.

[13] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص119.

[14] رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ج2، ص101.

[15] خصص الدكتور عبد الحميد رأفت فصلا كاملا لمناقشة مسيحية قسطنطين، بما في ذلك الآراء التي أثيرت حولها. أنظر المرجع نفسه، ص ص101- 140.

[16] مستوطنة يونانية أقامها ملاحون يونان من مدينة ميجارا سنة 657 ق.م، وسميت بيزنطة نسبة إلى القائد بيزاس Byzas الذي يرجع إليه الفضل في اختيار موقع المستوطنة. للمزيد أنظر رنسيمان ستيفن: الحضارة البيزنطية، تر عبد العزيز توفيق جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص3؛ حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص31. أحمد زكي بك: قاموس الجغرافية القديمة، المطبعة الأميرية، مصر، 1899، ص ص26-27.

.John Rosser: Historical Dictionary of Byzantium, Scarecrow press, U S A, 2001, p p65-66

[17] ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله: المسالك والممالك، تح محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص93؛ إسحاق بن الحسين: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تح فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، 1988، ص116؛ الحموي ياقوت: معجم البلدان، مج4، دار صادر، بيروت، 1977، ص347.

[18] إسحاق بن الحسين: المصدر نفسه، ص116.

[19] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص122.

[20] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص239؛ البكري: المصدر نفسه، ج1، ص236؛ الدمشقي: المصدر نفسه، ص341.

[21] ليلى عبد الجواد إسماعيل: القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، ع3، جامعة القاهرة، مصر، جانفي 1989، ص160.

[22] نفسه؛ رنسيمان: المرجع نفسه، ص6؛ جيبون: المرجع نفسه، ص356؛ حسنين ربيع: المرجع نفسه، ص32.

[23] الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص347؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص120.

[24] الحموي: المصدر نفسه، مج1، ص261؛ الدمشقي: المصدر نفسه، ص341؛ البغدادي صفي الدين: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج1، تح علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1992، ص88.

[25] ابن بطوطة أبو عبد الله محمد: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، تح عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص251.

[26] مؤنس حسين: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص147.

[27] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص120؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه، ص160؛ الفحام شاكر: التعريف والنقد اصطنبول، مجلة مجمع اللغة العربية، مج64، ج1، مجمع اللغة العربية، دمشق، جانفي 1989، ص135-136.

Dentrius John Georgacas: The Names of Constantinople, in Transaction and Proceedings of the Amrican Philological Association, vol78, The Johns Hopkins University press, USA, 1947, p366-367.

[28] الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص258؛ البغدادي: المصدر نفسه، ج3، ص1033.

[29] ابن رسته أحمد أبو علي: الأعلاق النفيسة، مج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ص114؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص95؛ الدمشقي: المصدر نفسه، ص192.

وقد شبه المقدسي مدينتي المهدية والقسطنطينية ببعضهما من ناحية الشكل، واتصالهما بالبحر من ثلاث جهات حين يقول: "والمهدية على البحر... ومن أحب أن ينظر إلى القسطنطينية فلينظر إليها ولا يتعنّى إلى بلاد الروم، فإنها على عملها في جزيرة يُدخل إليها من طريق واحد..." المقدسي محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح شاكر العيبي، دار السويدي، 2003، ص213.

[30] الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص221.

[31] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ المهلبي الحسن بن أحمد: المسالك والممالك، تح تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 2006، ص61؛ الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص347؛ البغدادي: المصدر نفسه، ج3، ص1092.

[32] أنظر الصورة رقم 02.

[33] القلقشندي: المصدر نفسه، ج5، ص377.

[34] إسحاق بن الحسين: المصدر نفسه، ص116؛ الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص801؛ جيبون إدوارد: المصدر نفسه، ج1، ص346.

[35] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص241.

[36] رنسيمان ستيفن: المرجع نفسه، ص4.

[37] قدّر الميل قديما بحوالي 2 كلم أنظر فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1970، ص95؛ علي جمعة محمد: المكاييل والموازين الشرعية، ط2، دار القدس، القاهرة، 2001، ص53. ويقدّر الميل حاليا ب 1,609 كلم.

[38] ابن رسته: المصدر نفسه، ص114.

[39] الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص801؛ وأنظر أيضا ابن الوردي سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح أنور محمود الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص171.

[40] الحميري: المصدر نفسه، ص482؛ القلقشندي: المصدر نفسه، ج5، ص377؛ البكري: المصدر نفسه، ج2، ص46.

[41] التطيلي بنيامين: رحلة بنيامين التطيلي، تر عزرا حداد، دراسة وتقديم عبد الرحمان عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002، ص219.

[42] جيبون: المرجع نفسه، ص351.

[43] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص101؛ ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص140؛ الحموي: المصدر نفسه، مج3، ص101.

[44] يسميه ابن بطوطة نهر أبسمي (Bsumi). أنظر ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص251.

[45] ذكر ابن بطوطة أن قسمي المدينة يقعان شرقي وغربي هذا الخليج، والأصح أن أحدهما يقع جنوبه والآخر شماله.

[46] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص251.

Charles Diehl: Byzantine Civilisation, in the Cambridge Medieval History, vol 4, Cambridge .University press, 1923, p762

[47] لم تميز المصادر العربية بين بحر إيجة والبحر المتوسط فكانت تشير إليهما على أنهما بحر واحد (بحر الروم).

[48] قدَّره شمس الدين الدمشقي ب 250 ميلا. الدمشقي: المصدر نفسه، ص192. وذكر المسعودي أن طوله يتراوح ما بين 300 و 360 ميلا. المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص95، 241؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ص59، 120. أما ابن خرداذبه والإدريسي فذكرا أن طول الخليج يقدر ب 320 ميلا. ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص 93؛ الإدريسي: المصدر نفسه، ص804. وأشار الحميري إلى أن طوله يبلغ 350 ميلا. الحميري: المصدر نفسه، ص204. في حين قدَّره البكري ب 360 ميلا. البكري: المصدر نفسه، ج1، ص151.

[49] أبو الفداء عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان، صححه رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830، ص34.

[50] تعني الكلمة ممر الثور. عن المضيق أنظر مصطفى أحمد أحمد- حسام الدين إبراهيم عثمان: الموسوعة الجغرافية، ج2، دار العلوم، القاهرة، 2004، ص103.

[51]عن هذا البحر أنظر المرجع نفسه، ج2، ص39.

[52] عن هذا المضيق أنظر المرجع نفسه، ج2، ص103.

[53] أبو الفداء: المصدر نفسه، ص213.

[54] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ الإدريسي: المصدر نفسه، ج1، ص12، ج2، ص ص804، 905؛ النويري شهاب الدين أحمد: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص222.

[55] أبو الفداء: المصدر نفسه، ص34.

[56] مصطفى أحمد أحمد- حسام الدين إبراهيم عثمان: المرجع نفسه، ج2، ص103.

[57] النويري: المصدر نفسه، ج1، ص222؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص804.

[58] قدامة بن جعفر: نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تح محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص50.

[59] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93.

[60] - يقدَّر طول بحر مرمرة ب 225 كلم، أما طول الدردنيل فيقدَّر ب 60 كلم. أنظر مصطفى أحمد أحمد- حسام الدين إبراهيم: المرجع نفسه، ج2، ص ص39، 103.

[61] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص92؛ البكري: المصدر نفسه، ج1، ص151؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج1، ص12، مج2، ص804.

[62] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص241؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص121؛ البكري: المصدر نفسه،ج1، ص151؛ الحميري: المصدر نفسه، ص221؛ النويري: المصدر نفسه، ج1، ص222.

[63] جيبون: المرجع نفسه، ص347، مصطفى أحمد أحمد- حسام الدين إبراهيم: المرجع نفسه، ج2، ص103.

[64] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص92؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص121؛ البكري: المصدر نفسه، ج1، ص151؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص804؛ الحميري: المصدر نفسه، ص221.

[65] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص241.

[66] نفسه؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص121-122.

[67] قدامة بن جعفر: المصدر نفسه، ص50؛ الدمشقي: المصدر نفسه، ص192.

[68] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص151؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج1، ص12، مج2، ص804؛ الحميري: المصدر نفسه، ص221؛ النويري: المصدر نفسه، ج1، 222.

[69] أبو الفداء: المصدر نفسه، ص32.

[70] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص95.

[71] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص121.

[72] مصطفى أحمد أحمد- حسام الدين إبراهيم: المرجع نفسه، ج2، ص39.

[73] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ قدامة بن جعفر: المصدر نفسه، ص50؛ ابن الفقيه: المصدر نفسه، ص137؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص804، الدمشقي: المصدر نفسه، ص192؛ أبو الفداء: المصدر نفسه، ص213؛ النويري: المصدر نفسه، ج1، ص222.

[74] المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص241؛ قدامة بن جعفر: المصدر نفسه، ص50؛ ابن الفقيه: المصدر نفسه، ص137؛ الحميري: المصدر نفسه، ص221.

[75] رنسيمان: المرجع نفسه، ص4؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه، ص165. وأنظر أيضا
Charles William Chadwick: The Byzantine Empire, London, 1902, p5.

[76] Op. cit, p97; Hans Pohlsander: Op. Cit, p64 John Rosser:

[77] محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص29؛ جيبون: المرجع نفسه، ص ص347-348.

[78] محمود سعيد عمران: المرجع نفسه، ص29.

[79] نفسه.

.William Holden Hutton: The Story of Constantinople, London, 1921, p3

[80] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص122؛ الإصطخري أبو إسحاق: المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004، ص50؛ ابن الفقيه: المصدر نفسه، ص137؛ ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص178؛ الدمشقي: المصدر نفسه، ص192؛ النويري: المصدر نفسه، ج1، ص222.

[81] سماها المسعودي " أبدو " أنظر المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ص121-122. وسماها ابن الفقيه "أبدس". ابن الفقيه: المصدر نفسه، ص136. أما الإدريسي فسماها "أبذس". الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص204. وسماها الحموي "أندس". الحموي: المصدر نفسه، مج1، ص261. في حين سماها كل من المهلبي والحميري ب "أندلس". المهلبي: المصدر نفسه، ص61؛ الحميري: المصدر نفسه، ص221.

[82] William Holden: Op. cit, p3; Johnathan Harris: Constantinople Capital of Byzantium, Hambledon continuum, London, 2007, p44.

[83] راجع القصة كاملة عند النويري: المصدر نفسه، ج6، تح علي بوملحم، ص156 فما بعدها.

[84] ذكرها المقدسي، ورجحت الأستاذة ليلى عبد الجواد إسماعيل أنه يقصد بها دار البلاط التي كان ينزل بها كبار الشخصيات الإسلامية سواء من السفراء أو الأسرى. أنظر ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه، ص166، الحاشية رقم 75.

[85] المقدسي: المصدر نفسه، ص153.

[86] أنظر للمسار الذي ذكره هارون بن يحي من مدينة أنطاليا إلى القسطنطينية في الصورة رقم 1

[87] لم أستطع تحديد مكان هذه المدينة في الخريطة لذلك تجاهلتها أثناء رسمي للمسار، وقد يكون موقعها على نهر سانجريوس Sangrios الوارد في الصورة.

[88] أنظر ابن رسته: المصدر نفسه، ص ص113-114.

[89] قدَّر الأستاذ محمد قويسم مسافة اليوم بحوالي 50 كلم، أنظر قويسم محمد: مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، ع13، سبتمبر 2011، ص57. لكن تنبغي الإشارة إلى أن هذا التقدير يظل نسبيا، حيث تختلف ظروف كل رحلة عن الأخرى.

[90] حاليا هي مدينة طرابزون Trabzon الواقعة في شمال شرق تركيا.

[91] للمزيد أنظر الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص906 فما بعدها.

[92] المرحلة هي ما يقطعه المسافر في نحو يوم على الدابة. وقدرتها بعض المراجع بين ثلاثين وثمان وثلاثين كيلومتر. أنظر محمد محمد محمود محمدين: التراث الجغرافي الإسلامي، ط3، دار العلوم، الرياض، 1999، ص435؛ قويسم محمد: المرجع نفسه، ص56.

[93] ابن حوقل: المصدر نفسه، ص178. وأنظر لهذه المدن في الصورة رقم 01.

[94] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص153.

[95] الحموي: المصدر نفسه، مج3، ص100.

[96] ابن الفقيه: المصدر نفسه، ص139.

[97] أنظر ابن رسته: المصدر نفسه، ص120. وقد حاولت رسم هذا المسلك على الخريطة إلا أني لم أفلح.

[98] شيدت الكنيسة في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول – أُطلق عليها في البداية اسم الكنيسة الكبيرة - لكنها احترقت سنة 404م، فجددها الإمبراطور ثيودسيوس الثاني (408-450م)، إلا أنها أُحرقت مرة أخرى سنة 532م، أثناء ثورة نيقا، فعهد الإمبراطور جستنيان (527-565م) إلى كل من أنتيميوس الترالي Anthemius of Tralles و إيزيدور المليتي Isidore

Of Miletus بإعادة بنائها، وافتتحت سنة 537م، لكنها سرعان ما تصدعت بفعل الزلازل، فأعاد جستنيان ترميمها وظل يفاخر بجمالها وأبهتها وأنه تفوق ببنائها على النبي سليمان -عليه السلام- باني الهيكل -معبد القدس-. أنظر رنسيمان: المرجع نفسه، ص33؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه، ص184، الحاشية رقم 171؛ سيد علي إسماعيل: آيا صوفيا الكنيسة... المسجد...المتحف، مجلة تراث، نادي تراث الإمارات، ع131، أبوظبي، جويلية 2010، ص ص4-5.

Charles Diehl: Op. cit, p752; Jean Ebersolt : Saint-Sophie de Constantinople, Paris, 1910, p33.

[99] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص250.

أنظر لموقع الكنيسة في الصورة رقم 02.

[100] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص254.

[101] يذكر ابن كثير أنه هو من أحضر عرش ملكة سبأ إلى النبي سليمان -عليه السلام- بطرفة عين، وإن لم يذكره القرآن باسمه فإنه ذكره بإحدى صفاته وهي أن عنده علم الكتاب. قال الله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...﴾ سورة النمل- الأية 40. وقيل هو من علماء بني إسرائيل، ويحفظ اسم الله الأعظم. أنظر ابن كثير عماد الدين: البداية والنهاية، ج2، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1998، ص335.

[102] أبو الفداء: المصدر نفسه، ص213.

أنظر لمخطط الكنيسة عند

Jean Ebersolt: Op. cit, p40.

[103] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص254.

[104] ابن رسته: المصدر نفسه، ص119؛ القزويني: المصدر نفسه، ص605.

[105] أنظر لصورة الكنيسة من الداخل عند

Warren Treadgold: A History of the Byzantine State and Society, Stanford University Press, California, 1997, p212.

[106] حسب الرواية المتداولة خرجت القديسة هيلانة أم قسطنطين إلى بلاد الشام، وتمكنت في فلسطين من استخراج صليب الصلبوت –الذي صلب عليه المسيح عليه السلام وفق المعتقد المسيحي- فأرسلت جزءا منه إلى القسطنطينية حيث ثُبت في باب الكنيسة العظمى. أنظر إسحاق عبيد: المرجع نفسه، ص5 فما بعدها بعدة صفحات.

Rosser John: Op. cit, p402.

[107] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص255.

[108] المصدر نفسه، ص254.

[109] الحميري: المصدر نفسه، ص282.

[110] ابن رسته: المصدر نفسه، ص121؛ ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص103؛ الحموي: المصدر نفسه، مج3، ص103؛ إسحاق بن الحسين: المصدر نفسه، ص114.

[111] تعرض هذا الكتاب للضياع ولم يصل إلينا.

[112] أنظر الهروي أبو الحسن علي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص53.

[113] المقدسي: المصدر نفسه، ص153.

Studies on the History and Topography of Byzantine Constantinople, U S A, Paul Magdalino: 2007, p43.

وأنظر لموقع القصر في الصورة رقم 02.

[114] Jonathan Harris: Op. cit, p63.

[115] ابن رسته: المصدر نفسه، ص114؛ البكري: المصدر نفسه، ج2، ص46؛ القزويني: المصدر نفسه، ص604.

Jonathan Harris: Op. cit, p63.

أنظر لصورة القصر الإمبراطوري عند Hanss Pohlsander: Op. cit, p68.

[116] ذكر القزويني أن للقصر ثلاث مئة باب. القزويني: المصدر نفسه، ص604.

[117] لعل هذه التسمية كانت نسبة إلى ميدان السباق حيث سماه عدد من الجغرافيين البيدرون أو البذرون. ليلى عبد الجواد إسماعيل: القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، ع4، جامعة القاهرة، مصر، يوليو 1989، ص131.

[118] ابن رسته: المصدر نفسه، ص114-115.

[119] المصدر نفسه، ص118.

Jonathan Harris: Op. cit, p78.

[120] ابن رسته: المصدر نفسه، ص115؛ البكري: المصدر نفسه، ص46؛ القزويني: المصدر نفسه، ص604.

[121] ابن رسته: المصدر نفسه، ص115-116؛ القزويني: المصدر نفسه، ص604-605.

[122] أنظر لصورة الساحة عند

Charles William: Op. cit, p22; Hermann Barthe: Constantinople, Les Villes d'art célèbres, Paris, 1913, p95.

[123] كلاري روبرت: فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، تر حسن حبشي، مصر، د ت، ص130.

[124] الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص802؛ الحميري: المصدر نفسه، ص482.

[125] المقدسي: المصدر نفسه، ص153.

[126] ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه، ع4، ص122.

[127] نفسه.Charles William: Op cit, p96. . cit, p p23-24; Hermann Barth: Op

[128] المقدسي: المصدر نفسه، ص153.

[129] ذكر بعض الجغرافيين أن قسطنطين حين أسس مدينته الجديدة بنى عليها سورا. أنظر ابن خرداذبه المصدر نفسه، ص93؛ إسحاق بن الحسين: المصدر نفسه، ص116، الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص347.

[130] رنسيمان: المرجع نفسه، ص31-32.

the walls of the city and adjoining historical Alexander Van Millingen: Byzantin Constantinople sites, London, 1899, p45.

[131] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ المهلبي: المصدر نفسه، ص62؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص801؛ الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص347؛ أبو الفداء: المصدر نفسه، ص213؛ البغدادي: المصدر نفسه، ج3، ص1092؛ ابن الوردي: المصدر نفسه، ص171.

[132] Alexander Van Millingen: Op cit, p51..

[133] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ ابن الوردي: المصدر نفسه، ص171.

[134] الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص801.

[135] الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص347.

[136] البغدادي: المصدر نفسه، ج3، ص1092.

[137] Alexander Van Millingen: Op. cit, p53; Granville Baker : The Walls of Constantinople, New York, 2005, p187.

[138] الحميري: المصدر نفسه، ص482.

[139] الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص751؛ ابن رسته: المصدر نفسه، ص123؛ ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص101؛ ابن الفقيه: المصدر نفسه، ص140؛ الحموي: المصدر نفسه، مج3، ص101.

[140] الزهري: المصدر نفسه، ص ص73-74.

[141] أنظر الصورة رقم 03.

[142] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص801؛ الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص347.

[143] ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه، ع3، ص172، الحاشية رقم 114.

cit, p129..Granville Baiker: Op

وأنظر لموقع الباب في الصورة رقم 02.

[144] الحميري: المصدر نفسه، ص482.

[145] ابن خرداذبه: المصدر نفسه، ص93؛ الإدريسي: المصدر نفسه، مج2، ص801؛ البغدادي: المصدر نفسه، ج3، ص1092.

[146] ابن رسته: المصدر نفسه، ص114.

[147] يقصد بها المسلة التي أحضرت من مصر والتي سبق وأن أشرنا إليها

[148] الهروي: المصدر نفسه، ص48؛ الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص348؛ القزويني: المصدر نفسه، ص605؛ ابن الوردي: المصدر نفسه، ص172.

[149] الهروي: المصدر نفسه، ص48؛ الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص348؛ ابن الوردي: المصدر نفسه، ص172.

قصد الهروي بهذا الوصف العمود البرونزي المربع الذي أشار المقدسي إلى وجوده بالهبدروم.

[150] الهروي: المصدر نفسه، ص48؛ ابن الوردي: المصدر نفسه، ص172.

[151] ابن رسته: المصدر نفسه، ص ص118-119؛ الهروي: المصدر نفسه، ص48؛ الحموي: المصدر نفسه، مج4، ص348؛ أبو الفداء: المصدر نفسه، ص213؛ ابن الوردي: المصدر نفسه، ص172.

وأنظر لصورة هذا العمود عند Warren Treadgold: Op. cit, p41.

[152] العمري شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج27، تح مهدي النجم، دار الكتب العلمية، د ت، ص125.

[153] أبو الفداء: المصدر نفسه، ص213.